ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Abdul Karim Khudair Aliwi Al-Saidi

Sumer University College of Basic Education

Email: karemalsaedy@yahoo.com

Keywords:

Humanity, diagnosis, personification, anthropomorphism, Ahmed Matar's

Article info

Article history:

Received 1.Jan.2024

Accepted 2.Feb.2024

Published 15.Nov.2024

Personfication in Ahmed Matar's poetry, an analytical study

A B S T R A C T

This critical paper seeks to identify the presence of personfication in Ahmed Matar's poetry. By personfication we mean attributing human qualities to non-humans. The researcher reached several results. Among them is that Ahmed Matar was able to employ personfication for the purpose of sending ideological messages represented by his criticism of the miserable political and social reality. The poet was able, through his attribute of human qualities to animals, inanimate objects, abstracts, and to natural beings such as the moon, the sun, the sea, and others. The poet was trying to castigate himself and his people by sending his ideological messages that are conveyed by this technique .He made some of these non_human beings speak to people, and even act and think like them, in order to expose the contradictions and cons that exist in the Arab society and people...

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol57.Iss1.3830

الأنسنة في شعر احمد مطر، دراسة تحليلية

أ.د. عبد الكريم خضير عليوي السعيدي

كلية التربية الأساسية / جامعة سومر

الملخص :

سعت هذه الورقة النقدية إلى الوقوف على حضور الأنسنة في شعر احمد مطر، ونعني بالأنسنة هنا منح الصفات الإنسانية إلى غير الأنسان، وقد توصل الباحث إلى نتائج عدة منها أن احمد مطر استطاع توظيف الأنسنة لغرض إرسال رسائل أيديولوجية تتمثل بنقده لواقعه السياسي والاجتماعي المزري، وقد استطاع الشاعر من خلال توزيعه الصفات الإنسانية على الموجودات ذات الروح مثل الحيوانات، وعلى الجمادات، وعلى المعنويات، وعلى الموجودات الطبيعية ،مثل القمر والشمس والبحر وغيرها، أن يرسل رسائله الأيديولوجية عبر هذه التقنية، وهي رسائل يجلد الشاعر فيها نفسه وقومه، فجعل بعض تلك الموجودات، تكلم البشر وتفعل مثل فعلهم، بل وتفكر مثلهم .

الكلمات المفتاحية : الأنسنة ، التشخيص ، التجسيد ، التجسيم ، لافتات احمد مطر

من هو احمد مطر ؟:

احمد حسن مطر، شاعر عراقي ولد عام ١٩٥٠ في التنومة التابعة لقضاء شط العرب، اشتهر بكونه شاعر الرفض والسخرية، ينتمي معظم شعره، ولاسيما اللافتات التي وصل عددها إلى سبعة، إلى الشعر السياسي الذي يرفض الواقع العربي البائس، ويحرض فيه المواطنين العرب على التغيير، فقد شغل احمد مطر نفسه بفضح التناقض في مجتمعاتنا العربية وكشف التناقضات التي نعيشها، تعمد احمد مطر ان يكون شعره عبارة عن ومضات بغية ضمان سرعة انتشاره بين الناس، لكي تفعل هذه الومضات فعلها بينهم. (السعيدي ، ٢٠٠٨،ص٩).

ماهية الأنسنة وما علاقتها بمصطلحات قريبة الدلالة منها ؟

يشير عدد من الباحثين إلى أن الأنسة والتشخيص والتجسيد والتجسيم والاستعارة والمجاز، كلها مصطلحات رديفة تدل على مدلولات متقاربة (محمد، ٢٠٢١،ص٢٠)، وان النقد العربي القديم قد تناولها، ولكن تحت مسميات مختلفة (الشمري ،٢٠١٨،ص٤٠) وعلى وجه التحديد تناولها عندما تحدث عن الاستعارة في الشعر(اوشان ، ٢٠٠٤،ص ٤٦٢)، من جهته ابن رشد تحدث عنه تحت عنوان (إقامة الجماد مقام الناطقين) عند تلخيصه لكتاب أرسطو في الشعر (التميمي ، ٢٠١٢ ،ص١٤٠).

بيد ان النقاد المحدثين رغبوا في استعمال المصطلحات الحديثة ، عوضا عن مصطلح المجاز أو الاستعارة أو المصلحات القديمة التي استعملها النقاد عند حديثهم عن إحساس الجمادات، وتكلّم المعنويات، ونطق الطبيعة، وشكوى الزمان، وبكاء المكان؛ لانهم وجدوا ان استعمالهم للمصطلحات القديمة، لم يعد يلبي حاجتهم ورغبتهم ، فراح النقاد المحدثون ينزاحون عن المصطلح القديم إلى المصطلح الحديث بعد وقوعهم بعد تأثرهم بالمصطلحات الغربية، أو ربما وجدوا في المصطلح الحديث، فصاحة اكثر من مصطلح الاستعارة التقليدي، بالمقابل تمسك بعض النقاد بالمصطلح القديم (الاستعارة) بوصفها الأصل ولها الأسبقية في إضفاء الحياة إلى ما لا حياة له، فهي التي تشخص المجردات والمعنويات(محمد ، ٢٠٢١،٢٠) ، وفي ضوء ذلك عد التشخيص جزءا من الاستعارة بمسماها القديم(الشمري، ٢٠١٨،ص٨١) أي ان الحديث عن الاستعارة بمسماها القديم، هو حديث عن التشخيص بمسماه الحديث، من هنا رأت الباحثة (ندى بنت حمزة بن عبده خياط) ان العدول عن مصطلح الاستعارة إلى مصطلحات حديثة بديلة، فيه مؤامرة على الثقافة العربية والإسلامية (ابن خياط ، ٢٠٢٠،ص ١٠٧) .

وعلى نحو عام فان مصطلحات التشخيص و التجسيد و التجسيم و الأنسنة كلها تدل على مدلول عريض واحد ، ينطوي تحت عباءة المجاز البلاغي القديم، بيد ان الحداثة وضعت حدودا لكل مفهوم من هذه المفاهيم، فباتت هناك فروق دقيقة تفصل هذه المفاهيم عن بعضها ، وقد اختلف المختصون في تحديدها ، ولكن على نحو عام يمكننا الإشارة إلى ان مصطلح الأنسنة يعني عند الكثير من النقاد إضفاء الصفات الإنسانية على ما ليس بالإنسان، سواء أكان ذا روح أو لم يكن، أي انزال غير العاقل من الحيوانات والنباتات والجمادات والمعاني المجردة ، منزلة الإنسان العاقل، في حين يعني التشخيص منح صفة من الصفات الإنسانية لأمر معنوي حصرا، كقولنا تنفس الصبح ، وأما التجسيم فهو تحويل المعنويات المجردة إلى أجسام ليس من بينها الأنسان، كقولنا نامت الحرية، وأما التجسيد فهو منح المعنويات المجردة صفات البشر، أو هو نقل المعنوي إلى رتبة الحسي العاقل، وعلى هامش ما تقدم تباينت آراء المختصين حول الفروق والحدود الفاصلة بين هذه المصطلحات، ونحن لا نريد هنا الخوض في تفصيلات ذلك فقد تتبعها اكثر من باحث (العتيبي ، ٢٠١٦، ٤٢ ؛ وهبة ؛ المهندس، ١٩٨٤، ١٠٢؛ فتحي ، ١٩٨٦، ٨٥) ، ومن ثم صار من المألوف ان نجد عنوانات لدراسات نقدية ورسائل وأطاريح جامعية مثل: التشخيص في الشعر العباسي، وأنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي، وأنسنة الحرب في الشعر العربي قبل الإسلام، والتشخيص والتجسيم في شعر الطبيعة عند ابن الرومي، والتجسيد الفني للحرية في شعر محمود درويش، والتجسيد في شعر أدونيس ، وغيرها الكثير (يعقوب ؛ يونس ، ٢٠١٥، ١٣٥، وآخرون)

في هذه الدراسة نعنى بكفية تعامل الأدباء، ولاسيما الشعراء منهم، مع موجودات الحياة ،وكيف تحاوروا معها واستمعوا إلى حديثها المفترض، ولماذا نظروا اليها على أنها بشر مثلهم، بعبارة أخرى نحن هنا معنيين بالكيفية التي أصبح فيها الشعراء خالقين، فمنحوا الصفات الإنسانية لغير البشر، نريد هنا معرفة أي الموجودات منحها الشعراء صفات البشر ولماذا؟ لهذا فضلنا استعمال مصطلح الأنسنة، على المصطلحات الأخرى التي لها دلالة مقاربة، ذلك لأننا معنين هنا بالوقوف على الكيفية التي منح فيها الشاعر احمد مطر الموجودات المختلفة، سواء أكانت ذات روح ام لم تكن، صفات البشر، ولما كانت مصطلحات التشخيص والتجسيد والتجسيم، وحتى الاستعارة، مختصة بشيء معين حسب، وان مصطلح الأنسنة يشمل جميع الصفات الإنسانية، لهذا السبب استبعدناها وفضلنا مصطلح الأنسنة، لأنه الأقرب إلى طبيعة دراستنا .

الأنسنة في لافتات احمد مطر (مطر ،٢٠١١):

من استقراء شامل للافتات احمد مطر السبع ، التي تمثل معظم منجزه الشعري، استوقفتنا خمس تمظهرات للأنسنة في هذه القصائد ، وهي :

١. منح المعنويات أجسادا أو أجساما بشرية :

منح الشاعر في هذا التمظهر المعنويات مثل (الحرية والكرامة والسعد والنحس) أجسادا أو أجساما بشرية، أي انه جسدها أو جسمها، ففي لافتة (دمعة على جثمان الحرية) يجعل الحرية جثة هامدة وقد شيعها المشيعون ، فيقول :

(لقد شيعت فاتنة

تسمى في بلاد العرب تخريبا

وإرهابا ، وطعنا في القوانين الإلهية ،

ولكن اسمها والله ... ، لكن اسمها في الأصل حرية) (مطر ، ٢٠١١، ص٣٣).

وفي لافتة (طبيعة صامتة) يحيل الكرامة هذه المرة إلى جثة هامدة وقد علاها الذباب في مقلب القمامة فيقول:

(في مقلب القمامة

رأيتُ جثة لها ملامحُ الأعراب

تجمعت من حولها "النسور" و"الدِباب"

وفوقها علامة ،

تقولُ: هذي جيفةٌ ، كانت تسمى سابقاً ... كرامه!) (مطر ، ٢٠١١، ص١٢).

وفي لافتة (في انتظار غودو) يحيل الشاعر الحرية إلى صبية ، فيقول :

(كانتْ مَعي صَبيَّهْ

مربوطةً مثلي على مِروحةٍ سَقفيَّهْ .

جِراحُها تبكي السَّكاكينُ لَها .

و َنوْحُها تَرثي لهُ الوَحشيَّة !

حَضنتُها بأدمُعي .قلتُ لها :

لا تَجزعي .

مهما استَطالَ قَهرنُا ..

لا بُدَّ أنْ تُدرِكَنا الحُرَّيةْ .

تَطَلَّعتَ إليَّ ،

ثمَّ حَشْرَ جَتْ حَشْرَجَةَ المَنِيَّةْ :

و ا أَ سَفا يا سَيِّدي ، إنّي أَنَا الحُريَّةْ !!) (مطر ، ٢٠١١، ص٢٤٤).

وفي لافتة (حسب الأصول) يجعل (السعد) و (النحس) بشرا يبادلونه الحديث ، فيقول :

(دق بابي بالمزامير ودقات الطبول !

ما الذي يجري ؟!فتحت الباب من باب الفضول .

– من ؟ .

– أنا (السعد) .

تسمرت على لوح الذهول !

– أنت ؟! ، قد أوشكت أن أيأس ..

حييت .. تفضل بالدخول .

– عشت .. بيت عامر ، لست على جدول شغلي ،

ما أنا إلا رسول .

خلك (النحس) يقول : أهله اليوم على وشك الوصول ،

وهو مضطر لأن يأتي بهم ، حتى يوافيك على موعده .. حسب الأصول !) (مطر ، ٢٠١١، ص٣٠٠).

ومن خلال الأمثلة آنفة الذكر يتضح ان الشاعر منح بعض المعنويات (الحرية والكرامة والنحس والسعد) صفات الإنسان ، فأحالها إلى أجسادا أو أجساما ، بغية كشفه ما يجري في البلاد العربية من اضطهاد وقتل للمنادين بالحرية والكرامة ،فضلا عن بيان حال الإنسان العربي ، الذي يلازمه النجس منذ ولادته ، وهي كناية عن شقائه وتعبه.

٢. مخاطبة الموجودات الباري عز وجل :

في هذه البنية جعل الشاعر الموجودات تخاطب الباري عز وجل بحديث أشبه بالمنولوج ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في لافتة (محنة) إذ ينقل لنا الشاعر الخطاب الذي يوجهه الثوب إلى الرب عز وجل ، فيقول :

(ثَوْبٌ مَنشورٌ يَتلوَّى ، يَقطُرُ بالدَّمعِ وبالشّكوى ، مَن شِدَّةِ ثِقْلِ الأحزانْ: ماذا كانْ؟

بَعضُ الوَحْلِ على الأَذيالِ، وَبُقعةُ زَيتٍ في الأردانْ.

ها هِي ذي قد غُسِلَتْ عَنّي. ماذا يَعني؟ ها إنّي..

– إذْ صِرْتُ نظيفاً.

– عُلِّقْتُ بحبلٍ مِن نَحْري ، وَتجاذَبَ ظهري قَيْدانْ!

راضٍ بمصيري لو كانْ ،ثَمَناً لِزَوال الأدرانْ ، لكِنّي مِن بَعْدِ ثَوانْ ، سأُغادِرُ حَبْلي كَيْ أُكوى ، وأُغادرُ ناري كي أُطوى ، وأُغادرُ سِلْسِلَةَ البلوى ، كَيْ يَدْخُلَ جِلدي إنسانْ!.

أَنَا لا أدري ، ما جَدوى فَرْكي أو عَصْري ، ما دامَ مَصيري سِيانْ! ، وَسَخٌ في كُلِّ الأحيانْ.يُغسَلُ مِن وَجْهي مِثقالٌ ، وَتَحُلُّ بِجَوْفي أطنانْ! ،

ذاكَ حِمارٌ دُون لِباسٍ ، هذا بَغْلٌ دونَ قَميصٍ ،ذلِك ثَورٌ ،ذاكَ بَعيرُ ،

هذا كَبْشٌ، ذاك حصان. كُلٌّ يَتبختَرُ عُرْيانْ.

وَأَنا لا أدري ما ذنبي ، حَتّى تجعَلَني يا ربّي ، في حَوْزةِ أَسوأ حَيْوانْ!). (مطر ، ٢٠١١، ص٢٨١).

منح الشاعر في المثال آنف الذكر الثوب، صفات إنسانية ، اذ جعله يخاطب الله سبحانه وتعالى، ويسأله لماذا جعله في حوزة البشر، الذين هم أسوأ الحيوانات التي خلقها !! ، لكي يكشف لنا مدى الحيوانية التي يتصف بها بعض البشر، فالثوب الذي هو موجود غير عاقل وغير حي، يأنف ان يكون بحوزة الإنسان الذي هو أسوأ الحيوانات، فما بالك بالموجودات الحية ؟!!

٣. القيام بأفعال البشر:

في هذا التمظهر، جعل الشاعر الموجودات التي يتعامل معها، تفعل مثلما يفعل البشر، فالذباب يصفق ، والجرذ يخطب ، والحمير ترفض ان العمل في خدمة الاستعمار، والبقر يبيع ويشتري، والوطن كأنه طفل كفيف وضعيف يمشي آخر الليل، ومن أمثلة ذلك ما ورد في لافتة (خطاب تاريخي) التي يقول فيها :

(رأيت جرذاً ،

يخطب اليوم عن النظافة ،

وينذر الأوساخ بالعقاب ،وحوله ،

يصفق الذباب!) (مطر ، ٢٠١١، ص١٥).

في هذه اللافتة يوظف الشاعر المفارقة ، لغرض فضح الأشخاص ، الذين يأمرون الناس بالتقوى وهم فارغون منها ، أو الذين يعلمون الناس الصلاة وهم لا يصلون ، فالجرذ الذي هو عنوان من عنوانات القذارة ، يحث الآخرين على النظافة ، والمنطق يقول ان فاقد الشيء لا يعطيه ، وهذا هو حال بعض البشر ، ويقول في لافتة (إهانة) :

(رأتِ الدول الكبرى تبديل الأدوارْ ،

فأقرّت إعفاء الوالي ،

واقترحت تعينَ حِمارْ ،

ولدى توقيع الإقرار نهقتْ كلُّ حمير الدنيا باستنكارْ،

نحن حميرَ الدنيا لا نرفضُ أن نُتعَبْ ، أو أن نُركَبْ أو أن نُضربْ أو حتى أن نُصلبْ ،

لكن نرفضُ في إصرارْ أن نغدو خدماً للاستعمارْ،

إن حُموريتنا تأبى أن يلحقنا هذا العارْ) (مطر ، ٢٠١١، ص١٠٦).

في هذه اللافتة يرفض الحمار ان يكون واليا على احدى الدول العربية ، حتى لا يكون في خدمة الاستعمار ، فالحمار مع ما اشتهر به من صبر وتحمل ، يرفض ان يكون واليا عربيا ، وفي هذا غمز أو إشارة إلى ان كل ولاة الأمر عندنا هم في خدمة الاستعمار ، ويقول في لافتة (تصدير واستيراد) :

(حلب البقال ضرع البقرة.

ملأ السطل..

وأعطاها الثمن،

قبّلت ما في يديها شاكرة.

لم تكن قد أكلت منذ زمن.قصدت دكانه ،

مدت يديها بالذي كان لديها..

واشترت كوب لبن!) (مطر ، ٢٠١١، ص١٨٥).

في هذه اللافتة ، مثل الشاعر الشعوب العربية بالبقرة التي تبيع حليبها (خيراتها) إلى التاجر ، بثمن بخس ، ثم تشتري بما أعطاها إياه التاجر من مال ، كوب لبن (من لبنها) من التاجر نفسه .الشاعر في هذه اللافتة أراد تحريض الشعوب العربية على من يسرقها ، بعد ان كشف لها حقيقة وضعها ، فهي تعطي كل ما تملك مقابل الحصول على النزر اليسير مما تمتلك !!، وأما الوطن فقد أحاله الشاعر في لافتة (الطفل الأعمى) إلى طفل كفيف يمشي آخر الليل ، وقد سرق اللص ما بحوزته من ماء وزيت ورغيف ،فيقول :

(وَطَنِي طِفْلٌ كَفِيفْ وضَعيفْ .

كانَ يَمشي آخِرَ الليلِ ،

وفي حَوْزَتِهِ :ماءٌ ، وزيتٌ ، ورغيفْ .

فرآهُ اللصُّ وانْهالَ بسكّينٍ عليهْ وتوارى ،

بعدما استولى على ما في يَدَيهْ .

وَطَنِي ما زالَ مُلْقَىً مُهْمَلاً فوقَ الرصيفْ ،

غارِقَاً في سَكَراتِ الموتِ) (مطر ، ٢٠١١، ص٦٦).

الشاعر في هذه اللافتة أحال الوطن إلى طفل كفيف وضعيف يمشي آخر الليل ، وفي ذلك كناية عن ضعف أهله وعدم معرفتهم بما يجري حولهم ،فانتهز اللص عماه وضعفه فنهب ما بين يديه من خيرات ، وتركه جثة مهملة ملقاة على الرصيف غارقة في سكرات الموت ، وهكذا نجد ان أنسنة الشاعر للوطن وجعله بشرا ، مكنته من إيصال رسالته الأيديولوجية للشعوب العربية ، فهو يريد رفع الغشاوة التي على عينها حتى تثأر لكرامتها وتسترد حقوقها التي سلبها منها اللصوص ، مستغلين جهل تلك الشعوب ، وفي لافتة (البيان الأول) يحيل القلم هذه المرة إلى جثة هامدة ، غارقة في لجة الحبر ،مختنقا في وسط حبر الدواة ، كما يختنق الكائن الحي بالماء ، بعدما اخفق في تحرك الشعوب واستثارتها للمطالبة بحقوقها ، يقول الشاعر :

(قلمي في لُجة الحبرِ أختنق ،

وطفت جُثتُة هامِدة فوق الورق ،

روحُهُ في زبدِ الأحرفِ ضاعت فى المدى

ودمي في دمه ضاع سدى

ومضى العمر ولم يأت الخلاص) (مطر ، ٢٠١١، ص٥٢).

٤. تبادل الموجودات الحديث مع بعضها: في هذا التمظهر، يجعل الشاعر الموجودات تتبادل الحديث مع بعضها، بوصفها كائنات بشرية تفهم ما يفهم البشر وتتحدث مثل حديثهم ، ومثال ذلك ما ورد في لافتة (انتساب) التي تتحدث عن حوارية مفترضة تدور بين القط الذي يمثل العرب هنا، وفأر يمثل الشعوب الضعيفة التي يستقوي عليها الإنسان العربي، فتكشف هذه الحوارية المفترضة مدى استقواء العرب على الشعوب الضعيفة تاركة الاستعمار(ويمثله هنا الكلب) يفعل ما يشاء فيهم، ومما لاشك ان الشاعر هنا يجلد نفسه وقومه، الذين لا يجيدون غير الاستقواء على الضعفاء، فيقول الشاعر بهذا الصدد :

(بعدما طارده الكلب وأضناه التعب،

وقف القط على الحائط ،

مفتول الشنب ،

قال للفأرة : أجدادي أسود ،

قالت الفارة: هل أنتم عرب؟!)(مطر ، ٢٠١١، ص٢٧٧).

وفي لافتة (دلال) ينقل لنا الشاعر حوارية أخرى مفترضة تدور بين الفيل والنملة ، ومرة أخرى يجلد الشاعر نفسه في هذه الحوارية وقومه ، فيقول :

(النملة قالت للفيل: قم دلكني ..

ومقابل ذلك ضحكني ..! ،

وإذا لم اضحك عوضني ..بالتقبيل وبالتمويل ..

وإذا لم اقنع .. قدم لي ..كل صباح ألف قتيل !

ضحك الفيل ..، فشاطت غضبا : تسخر مني يا برميل ؟ ،

ما المضحك في ما قد قيل ؟!

غيري اصغر ..لكن طلب أكثر مني ..،

غيرك اكبر ..، لكن لبى وهو ذليل ..، أي دليل ؟

اكبر منك بلاد العرب ..، واصغر مني إسرائيل !) (مطر ، ٢٠١١، ص٢٨٦).

فالعرب الذين يمثلهم هنا الفيل، على الرغم من ضخامتهم ، مقارنة بالنملة (التي تمثل هنا إسرائيل) إلا انهم لم يستعطوا إلا تنفيذ رغباتها وهم أذلاء، وفي لافتة (وصايا البغل المستنير) ينقل لنا الشاعر حوارية مفترضة بين بغل مستنير وبغل فتى ،تكشف عن استحقار البغال للرؤساء العرب ، يقول فيها :

(قال بغلٌ مستنير واعظاً بغلاً فتيا : يا فتى ، إصغِ إليّا إنما كان أبوك امرأ سوءٍ ، وكذا أمك قد كانت بغيّا أنت بغلٌ ، يا فتى ...و البغل بغل ، فأحذر الظن بأن الله سواك نبيّا ، يا فتى ...أنت غبي حكمة الله، لأمرٍ ما، أرادتك غبيّا فاقبل النصح تكن بالنصح مرضياً رضيّا أنت إن لم تستفد منه فلن تخسر شيّا .. يا فتى ... من أجل أن تحمل أثقال الورى صَيَّرَك الله قويّا ، يا فتى ... فاحمل لهم أثقالهم مادمت حيّا و استعذ من عقدة النقص فلا تركل ضعيفاً ...حين تلقاه ذكيّا ، يا فتى ...احفظ وصاياي تعش بغلاً ، و إلاّ .. ربما يمسخك الله رئيساً عربيّا) (مطر ، ٢٠١١، ص١٩٩).

والطريف ان الشاعر في هذه اللافتة، جعل البغل يعترف ،ان البشر كائنات ذكية في حين ان البغال غبية ، ولكنها قوية، لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى ،ولكن على الرغم من ذلك فان البغال تأنف ان يشبهها احد بالرؤساء العرب، وفي لافتة (عكاظ) (مطر، ٢٠١١، ص٢٥٤). يمكن الشاعر بعض الموجودات من حضور سوق عكاظ الشهير، ليتعاكظوا أو يتفاخروا فيما بينهم، فتتبري الأرض والبحر والريح والغيم والصمت والصخر والنسر والنمر والكلب والجحش، فضلا عن المواطن العربي، فتفاخر هؤلاء فيما بينهم ، فيصل العربي إلى قناعة بعد سماعهم ما قدمته الكائنات المختلفة من أسباب فخرها، من انه بالشكل إنسان ، ولكنه في الحقيقة حمار، ولما سمع الجحش ان عربي شبه نفسه بالحمير، انتفض غاضبا ،لأنه يرى ان مجرد تشبيه العرب بالحمير ، هو بحد ذاته عار ما بعده عار، وأخيرا نكتفي بذكر نموذج أخير من هذا التمظهر، وهو ما ورد في لافتة (طبق الأصل) (مطر ، ٢٠١١، ص٢٦٥). التي ينقل لنا الشاعر فيها حوارية مفترضة بين الدودة والأرض ، تشبه حوارية البغل وابنه ،فالأرض يرمز بها الشاعر هنا إلى أمريكا ، في حين يرمز بالدودة إلى دول الرفض. الدودة في هذا الحوار تتوهم أنها تدمي الأرض عندما تعضها . الأرض من جهتها تضحك من فعل الدودة ، فتقول لها: أنا التي أوجدتك ومكنتك من أسباب العيش ، الآن تريدين نكران هذا وتعضي اليد التي منحتك الحياة !!، ومما لاشك فيه ان الشاعر هنا يغمز أو يشير إلى الدويلات العربية التي تدعي وقوفها بوجه الولايات المتحدة الأمريكية ، فأمريكا هي التي صنعتها وأوجدتها ، وهي التي نصبت عليها حكامها ، فهل يعقل ان تعض هذه البلدان اليد التي أوجدتها للوجود .

٥. الموجودات تفهم حديث البشر :

في هذا التمظهر ،الموجودات التي أنسنها احمد طر ، تفهم كلام البشر ، ولكنها مرة تكتفي بالاستماع اليهم حسب ، ومرة ثانية تبادلهم الحديث ، ومن أمثلة النوع الأول (الاكتفاء بالاستماع إلى البشر وهم يتحدثون اليها) ما نجده في لافتة (قومي احبلي ثانية) اذ يقول مخاطبا الأرض :

(يا أرضنا، يا مهبط الأنبياء ،

قد كان يكفي واحد ،

لو لم نكن أغبياء ،يا أرضنا ،

ضاع رجاء الرجاء ، فينا ومات الإباء ،

يا أرضنا ، لا تطلبي من ذلنا كبرياء ،

قومي احبلي ثانية ، وكشفي عن رجل لهؤلاء النساء!!!!) (مطر ، ٢٠١١، ص٣١).

وفي لافتة (بين يدي القدس) يخاطب الشاعر مدينة القدس فيقول لها :

(يا قدس يا سيدتي ، معذرة فليس لي يدان ، وليس لي أسلحة ، وليس لي ميدان ، كل الذي أملكه لسان ، والنطق يا سيدتي أسعاره باهظة والموت بالمجان ، سيدتي أحرجتني ، فالعمر سعر كلمة واحدة ، وليس لي عمران ، أقول نصف كلمة ، ولعنة الله على وسوسة الشيطان ، جاءت إليك لجنة ، تبيض لجنتين ، تفقسان بعد جولتين عن ثمان ، وبالرفاء و البنين تكثر اللجان ، ويسحق الصبر على أعصابه ،ويرتدي قميصه عثمان ، سيدتي ، حي على اللجان ، حي على اللجان !) (مطر ، ٢٠١١، ص٣٦).

والمثال الأخير من هذا النوع ما ورد في لافتة (صفقة مع الموت) اذ يخاطب الشاعر الموت بقوله :

(أيُّها الموتُ انتظِرْ ، واصبرْ عَلَيْ . فأنا لا وقتَ للموتِ لَدَيْ ، وأنا لا وقتَ للعيشِ لَدَيْ .إنَّني بينكما أجهلُ عمري ، إنَّني منذُ الصِبا أجري ، وأجري ،ثُمَّ أجري ، ثُمَّ أجري .... أيُّها الموتُ .. عزيزي ، لكَ شُكري ، انتظرْ ، إنّي سأدعوكَ إلَيْ . قَسماً إنّي سأدعوكَ إلَيْ ، عندما أشعُرُ يوماً أنَّني يا موتُ .. حَيْ !) (مطر ، ٢٠١١، ص٩٢).

مثلما هو واضح ففي هذه الأمثلة تكتفي الأرض ومدينة القدس والموت ، بالاستماع إلى الشاعر وهو يحدثها ، والشاعر هنا منع الأرض والقدس والموت من مبادلته الحوار ، وجعلها تكتفي بالاستماع حسب ، وكأنه أراد القول ان هذه الموجودات تأنف من مبادلته الحديث ، فهي لا تجده كفؤا لها ، والشاعر هنا يجلد ذاته وقومه ، فهو يتحدث بلسان العرب ، مخاطبا الأرض ومدينة القدس والموت .

أما النوع الثاني في هذا التمظهر، فهو عندما يجعل الشاعر تتبادل الحديث مع البشر، ووسوف نختار أمثلة معدودة من هذا النوع ، نظرا لكونه الطاغي في شعر احمد مطر، وقبل ذكر الأمثلة، علينا استعراض الموجودات التي مكنها الشاعر من تبادل الحديث مع البشر، وهي: منبه الساعة ، صدى الصوت، الحمار، إبليس ، الجدار، الزهور، الباب، الكلب، الحصان، الحرية، الحمام، القلب، الريح ، الشمس، البحر، السعد، النحس، الببغاء، الشعر، الحائط ...، ومن الأمثلة التي نستعين بها هنا ، ما ورد في لافتة (يقظة) اذ يقول الشاعر :

(صَباحَ هذا اليَومْ ، أيقظني مُنَبّهُ الساعهْ ،

وقالَ لي : يا ابنَ العَرَبْ ، قَدْ حَانَ وقتُ النّومْ) (مطر ، ٢٠١١، ص١٣).

والمثال الآخر ما ورد في لافتة (مشاتمة) اذ يقول الشاعر :

(قال الصبي للحمار: (يا غبي).

قال الحمار للصبي:(يا عربي)!) (مطر ، ٢٠١١، ص١٩٧).

وفي لافتة (الجدار) التي جاء فيها :

(وقفتُ في زنزانتي ، أُقَلّبُ الأفكارْ : أنا السجينُ ها هُنا ، أم ذلك الحارسُ بالجوارْ ؟ ، فكلُّ ما يفصلنا جدارْ ، وفي الجدارِ فتحةٌ يرى الظلامَ من ورائِها ، وألمحُ النهارْ ! لحارسي ، ولي أنا .. صِغارْ، وزوجةٌ ودارْ ، لكنَّهُ مثلي هُنا ، جاءَ بهِ وجاءَ بي قَرارْ وبيننا الجدارْ ! ، يوشِكُ أن ينهارْ ! ، حدّثني الجدارْ ، فَقال لي : أنّ الذي ترثي لهُ ، قد جاء باختيارهِ ، وجئتَ بالإجبارْ ، وقبل أن ينهارَ فيما بيننا ، حدّثني عن أَسَدٍ ، سجَّانُهُ حِمارْ !)
(مطر ، ٢٠١١، ص٥٦).

وفي لافتة (الباب) يقول الشاعر :

(بابٌ في وَسَطِ الصّحراءْ ،

مَفتوحٌ لِفضاءٍ مُطلَقْ .

ليسَ هُنالِكَ أيُّ بِناءْ ، كُلُّ مُحيطِ البابِ هَواءْ .

– مالكَ مفتوحاً يا أحمَقْ ؟! ، أعرِفُ أنَّ الأمرَ سَوَاءْ ، لكنّي .. أكرهُ أنْ أُغلَقْ !) (مطر ، ٢٠١١، ص٢٢٢).

وفي لافتة (مزايا وعيوب) يقول احمد مطر :

(نبح الكلب بمسئول شؤون العاملين: سيدي إني حزين. هاك...

خذ طالع مِلفي ، قذرٌ من تحت رجليَّ إلى ما فوق كتفي ، ليس عندي أي دين. لاهثٌ في كل حين.

بارعٌ في الشمّ و النبح و عقر الغافلين.

بطلٌ في سرعة العدو، خبيرٌ في إ قتفاء الهاربين ، فلماذا يا ترى لم يقبلوني ، في صفوف المخبرين ؟! ، هتف المسئول: لكن فيك عيبان يسيئان إليهم ، أنت يا هذا وفيٌ و أمين !) (مطر ، ٢٠١١، ص١٨٤).

وفي لافتة (في انتظار غودو) يقول الشاعر:

(كانتْ مَعي صَبيَّهْ ،

مربوطةً مثلي على مِروحةٍ سَقفيَّهْ .

جِراحُها تبكي السَّكاكينُ لَها ..

وَ نوْحُها تَرثي لهُ الوَحشيَّة ! حَضنتُها بأ د مُعي .

قلتُ لها : لا تَجزعي .مهما استَطالَ قَهرنُا ..

لا بُدَّ أنْ تُدرِكَنا الحُرِّيةْ .تَطَلَّعتَ إليَّ ،ثمَّ حَشْرَ جَتْ حَشْرَجَةَ المَنِيَّهْ :

وا أَسَفا يا سَيِّدي ، إنّي أَنَا الحُريَّهْ !!) (مطر ، ٢٠١١، ص٢٤٤).

وفي لافتة (عوائق) يقول الشاعر :

(قلت للريح استحمي في دمائي ،

قالت الريح: بهذا العاصف العاتي سينشق ردائي،

قلت للشمس: استحمي ،

هتفت : اخشى بهذا الوهج الساطع ان يعمى ضيائي ،

قلت للبحر تحمم ،

قال لي : اخشى من الطوفان ان يغرق مائي ، ها انا ناديت اقراني....) (مطر ، ٢٠١١، ص٢٨١).

وفي لافتة (حسب الأصول) يقول الشاعر :

(دق بابي بالمزامير ودقات الطبول !

ما الذي يجري ؟!فتحت الباب من باب الفضول .

– من ؟ ،

– أنا (السعد) . تسمرت على لوح الذهول !

– أنت ؟! ، قد أوشكت أن أيأس .. حييت .. تفضل بالدخول .

– عشت .. بيت عامر ، لست على جدول شغلي ،

ما أنا إلا رسول . خلك (النحس) يقول : أهله اليوم على وشك الوصول ، وهو مضطر لأن يأتي بهم ،حتى يوافيك على موعده .. حسب الأصول !) (مطر ، ٢٠١١، ص٣٠٠).

في الأمثلة السابقة يتضح لنا ان الشاعر قد مكن بعض الموجودات من تبادل الحديث مع البشر ، ولم تكتف بالاستماع اليهم مثلما لاحظنا في القسم الأول .

التحليل :

وبعد استعراض تمظهرات الأنسنة في لافتات شعر احمد مطر، لابد لنا من البحث عن إجابات لتساؤلات تعن على المتتبع لهذه البنيات ، على ان تكون إجابات تلك التساؤلات بمثابة نتائج التحليل، وهذه التساؤلات ،هي :
ماهي الموجودات التي منحها الشاعر صفات الإنسان ؟ وماذا منحها من الإنسان ، وماذا حجب عنها ؟، أي ماهي الموجودات التي منحها الشاعر صفة العقل ، فجعلها تفهم ما يقوله البشر ، وما هي الموجودات التي منحها الشاعر القدرة على فعل ما يفعله البشر ، وما هي الموجودات التي أحالها الشاعر إلى أجساد أو أجسام ؟ بالمقابل هل هناك من علاقة بين الصفات التي منحها الشاعر للموجودات (التكلم ، الفهم ، القدرة على القيام بأعمال البشر) وبين دلالات القصائد ؟ فضلا عن أسئلة أخرى سيرد ذكرها في ثنايا تحلينا لما ورد في لافتات احمد مطر .

أولا : جرد الموجودات : اذا اردنا جردا إحصائيا للموجودات التي تعامل معها احمد مطر في لافتاته ، فمنحها صفات البشر ، سيفضي هذا الجرد إلى الآتي :

١. الجمادات ما ليس بروح : الثوب، الأرض، البحر، الشمس، الريح، الغيم، الصخر، مدينة القدس، منبه الساعة، الجدار ، الحائط ، الزهور، الباب القلب ، القلم .

٢. ماله روح: الذباب، الجرذ، الحمير، البقر، القط، الفأر، الفيل، الدودة ، البغل، النسر، النمر، الكلب، الجحش، الحصان ، الحمام .

٣. المعنويات: الحرية، الكرامة، السعد، النحس، الوطن، الصمت، الموت، صدى الصوت، إبليس، الشعر .

٤. لا توجد انسنة عكسية ، فالشاعر لم يشبه نفسه بالحيوانات أو الجمادات .

من خلال الإحصاء السابق ، يتضح لنا أن الشاعر تعامل مع معظم موجودات الطبيعة ولم يكتف بنمط معين ، فهناك موجودات لها روح ، وأخرى ليس لها روح ،ورب سائل يسأل هنا عن جدوى هذا الإحصاء ، فأقول ان هذا الإحصاء يكشف عن تعامل الشاعر مع جميع الموجودات ، ولم يخصص تعامله مع نمط مهين ، لأنه يبحث عمن يستطيع حمل

الرسالة الأيديولوجية التي يسعى الشاعر إلى إيصالها إلى متلقيه ، واذا قارن هذا السلوك من لدن احمد مطر مع سلوك شعراء آخرين ، اختصوا بموجود معين ، مثل الظواهر الطبيعية ، كما هو شأن الشعراء الرومانسيين ، الذين لا يخفون ولعهم بالطبيعة وعشقهم لمظاهرها ، فقد كان أبو شادي (على سبيل المثال) يلجأ إلى مخاطبة الطبيعة ، كلما ضاق من ظلم الناس وضجيج الحياة ، فيبثها حزنه وقلقه(عبد الرحيم ، ٢٠١٦،ص١٤٢).

ثانيا: طبيعة الأنسنة : ولما كانت الأنسنة تعني منح الصفات الإنسانية لغير البشر، إذن علينا الإجابة عن سؤال يقول : ما هي الصفات الإنسانية التي منحها احمد مطر للموجودات ، وما هي الصفات التي حجبها عنها ؟ وما هو السبب في ذلك ؟ .

ان جواب هذا السؤال يحيلنا إلى وعي المتلقي، فضلا عما يريد الكاتب إيصاله من أفكار عبر نصه، ولما كان احمد مطر معنيا بجلد ذاته، من اجل نقد واقعه العربي المزري سياسيا واجتماعيا، لجأ إلى ثلاث تمظهرات في هذا المجال، وهي تقنيات تسرب من خلالها نقده الاجتماعي والسياسي للواقع العربي المزري، فضلا عن تمكنه من إثراء نصه وجعله اكثر جمالا وتأثيرا في المتلقي واكثر قدرة على التعبير، واستنادا إلى ما تم عرضه من نتائج، فان التمظهرات الثلاثة التي أشرنا اليها في أنسنة احمد مطر للموجودات هي :

١. الأولى، وهي التي استوعبت معظم نتاجه الشعري في هذا المجال ، وهي منحه القدرة للموجودات على التحدث أو الكلام، على ان كلام هذه الموجودات يقسم إلى ثلاث أقسام، في الأول يمكن الشاعر الموجودات من التحدث مع البشر وهي: منبه الساعة، صدى الصوت، البقر، الحمار، الجدار، الحائط، الزهور، الباب، الكلب، الحصان، الحرية، الحمام، القلب، الريح، الشمس، البحر، السعد، النحس، الببغاء، الشعر،لاوفي الثاني مكن الشاعر الموجودات من التحدث مع موجودات أخرى ليس من بينها البشر، وهي: الفراشة مع النار، القط مع الفار، النملة مع الفيل، الأنسام مع البلبل والوردة ، البغل مع ابنه، الأرض مع البحر والريح والغيم والصمت والصخر والنسر والكلب والحجش ، الدودة مع الأرض ، المسمار مع الحائط، وفي النوع الثالث مكن الشاعر فيه بعض الموجودات من الحديث مع نفسها بحديث أشبه بالمونولوج وهي ، الثوب والحائط .

٢. هنا مكن فيها الشاعر بعض الموجودات من ان تفعل أفعال البشر، وعلى سبيل المثال، الصدى يخاف، الذباب يصفق ، الجرذ يخطب، الحمير ترفض التشبه بالبشر، وترفض ان تعمل في خدمة الاستعمار، البقرة تبيع وتشتري، القلم يختنق، الوطن يمشي في الليل كأنه طفل اعمى .

٣. هنا منح الشاعر بعض الموجودات أجساما أو أجسادا بشرية ، مثل منحه الحرية والكرامة والوطن أجساما وجعلها كالبشر .

ثالثا : تكرار حضور الموجودات : يتكرر حضور بعض الموجودات في اكثر من لافتة من لافتات احمد مطر ، كالأرض والجدار أو الحائط والحمار والبغل والحرية والكلب وغيرها ، وتكاد هذه الموجودات تحافظ على صورتها النمطية التي رسمها لها الشاعر في تلك اللافتات ، وعلى سبيل المثال ، فقد حضر الحمار والبغل في لافتات (مشاتمة) و(إهانة) و(وصايا البغل المستنير) و(عكاظ) وفي جميع هذه اللافتات بقي الحمار والبغل محافظا على الصورة النمطية التي رسمها له احمد مطر ، فهو لا يرفض التشبه بالعربي حسب ، بل يرى ان مجرد التشبه بالعربي هو إهانة للحمير والبغال .أما الحرية فقد وردت في لافتات (دمعة على جثمان الحرية) و(في انتظار غودو) والحرية في هاتين اللافتتين صبية ميتة ، وأما الكلب فقد حضر في لافتات (مزايا وعيوب) و(عكاظ) وهو في كلتي اللافتتين يفتخر بكونه وفي وأمين ولا يغدر بصاحبه بل يحميه ، لهذا رفضوا تعينه مخبرا عند الحكومة .

رابعا : أسباب تباين الأنسنة : لماذا منح الشاعر المعنويات مثل (الحرية والكرامة والسعد والنحس) أجسادا أو أجساما بشرية ،وهل لذلك علاقة بدلالات القصائد أو اللافتات التي وردت فيها ؟، ولماذا منح الشاعر الثوب ،القدرة على مخاطبة الباري بحديث أشبه بالمنولوج عز وجل وهل لهذا الأمر علاقة بدلالة اللافتة ؟ ، ولماذا منح الشاعر الذباب والجرذ والحمير والبقر والوطن والقلم ، القدرة على ان يفعلوا مثلما فعل ابشر، وهل لها الأمر علاقة بدلالة اللافتات التي وردت فيها ؟ و لماذا منح الشاعر بعض الموجودات (القط ، الفأر) و(الفيل، الفأرة) و(الأرض، الدودة) و (البغل وابنه) و(البحر والريح والغيم والصمت والصخر والنسر والنمر والكلب والجحش) من تبادل الحديث مع بعضها وليس مع الإنسان وهل لذلك علاقة بدلالة اللافتات التي جاءت بها ؟ ولماذا مكن الشاعر بعض الموجودات من الاستماع لحديث البشر وفه ، ولكنه لم يمكنهم من تبادل الحديث معهم، كالأرض، القدس، الموت، ولماذا مكن موجودات أخرى من تبادل الحديث معهم، مثل منبه الساعة، صدى الصوت، الحمار، إبليس، الجدار، الزهور، الباب، الكلب، الحصان، الحرية، الحمام، القلب، الريح، الشمس، البحر، السعد ، النحس ، الببغاء ، الشعر، الحائط .

في الحقيقة ان الإجابة عن هذه الأسئلة لا بد له من ان يأخذنا إلى الكنى والرموز التي انطوت عليها أنسنة احمد مطر ، فالشاعر وظف هذه التمظهرات من اجل نقد واقعه المزري ، عن طريق جلد ذاته ، فقومه (العرب) يشبهون الفيل في الحجم ، ولكنهم وعلى الرغم من امتلاكهم هذا الحجم ، إلا ان كائنا يمتلك حجما صغيرا مثل حجم الفأرة (إسرائيل) استطاع النيل منهم، وقومه (العرب) يشبهون القط الذي يقضي عمره مختبئا وخائفا من الكلب ، يفتل شواربه على من هو اقل حجما منه (الفأرة)، والبغال والحمير تأنف ان يشبهها احد بالعرب، والعرب كالدودة التي تنهش في الأرض وهي تظن أنها توجعها ، خلاصة القول هنا هو ان الشاعر كان يبحث عن اقرب وسيلة توصله إلى مبتغاه (النقد الاجتماعي والسياسي) فمرة مكن بعض الموجودات من تبادل الحديث مع البشر، ومرة أخرى لم يمكنهم إلا من الاستماع للبشر ، وفي مرة ثالثة مكنهم من ان يفعلوا فعل البشر، وهكذا دواليك ، ومن ثم فإننا نرى ان تباين الأنسنة ، راجع إلى تأدية الغرض الذي من أجله استعان بها الشاعر .

خامسا : الفرق بين الأنسنة في ادب الطفل ، والانسنة في ادب الكبار :

استعين بلافتة (طبق الأصل) التي يفسر فيها الشاعر المقصود بالدودة والمقصود بالأرض لانطلق منها إلى ما أريد بيانه هنا .يقول احمد مطر في هذه اللافتة : **(أسألُ نفسي في استغرابٍ:من ذا يتعلّمُ مِن بعضْ؟ الأرضُ، تُرى، أمْ أمريكا؟ ، الدودَةُ ... أمْ دُوَلُ الرّفضْ؟)** فهو يعني هنا بالأرض أمريكا ، ويعني بالدودة دول الرفض ، وفي ضوء ذلك يمكننا فهم شعر احمد مطر ، ومن خلاله ادب الكبار، فالموجودات التي منحها الشاعر أجساما أو أجسادا أو منحها صفات بشرية ، ترد في ادب الكبار من باب الكناية والرمز ، وليس الحقيقة ،بعبارة أوضح ان احمد مطر لا يقصد بالأرض في لافتة (طبق الأصل) الأرض المعروفة ، كما انه لا يقصد بالدودة ، تلك الحشرة التي تزحف على الأرض ، إنما يقصد أمرا آخر ، في حين ان كاتب الطفل عندما يستعين بالأنسنة ، إنما يريد الحقيقة ، وعلى سبيل المثال ؛ القاص شفيق مهدي عندما يجعل الغزالة والغراب والنجمة والغيمة والألوان تتحدث ، إنما يعنيهم بأنفسهم ولا يكني بهم إلى امر آخر ،والسبب لان غاياته تختلف عن غايات احمد مطر ، فشفيق مهدي يسعى إلى إيصال غايات تربوية وأخلاقية وتعليمية وعلمية تفسيرية للظواهر الطبيعية ، وعلى سبيل المثال عندما يجعل اللونين الأصفر والأزرق يتحدثان بحديث البشر ، فهذا لأنه يريد ان يوصل معلومة إلى ذهن الطفل ،تقول ان مزج هاذين اللونين يفضي إلى تكون لون آخر هو اللون الأخضر (معيدي ، ٢٠٢٤) .

ورب قائل يقول ان إحالة الموجودات إلى بشر يدخل كله في باب المجاز ، اذ ليس من الحقيقة القول ؛إن الحرية باتت جثة هادة وقد شيعها المشيعون ، وليس من باب الحقيقة القول إن الثوب المنشور على حبل الغسيل يتلوى ويقطر دمعا

ويشكو حاله ، وليس من باب الحقيقة القول إن الذباب يصفق والجرذ يخطب ، وليس من باب الحقيقة القول إن البقر يبيع ويشتري ، وليس من باب الحقيقة القول إن الحمير ترفض ان تكون في خدمة الاستعمار ، كما انه ليس من باب الحقيقة القول إن الأنسام تتبادل الحديث مع الفراشة ومع البلبل ، وان القط يتبادل الحديث مع الفأر ، أو يتبادل الفيل الحديث مع النملة ، فهذا كله من باب المجاز ؟

الجواب عن هذا القول ، يكون بالقول الآتي : صحيح أن الأنسنة والتشخيص والتجسيم والتجسيد ، إنما هي جميعها فنون بلاغية يحويها المجاز والاستعارة ، فاستعارة صفة بشرية وإلصاقها بأمر معنوي، هو باب من أبواب الاستعارة ، لأننا نستعير من البشر احدى صفاته كالحياة والحديث والتفكير والفهم ،فنلصقها بهذا الأمر المعنوي ،أو بهذا الحيوان أو ذاك ،بيد ان الذي نعينه هنا هو دلالة هذه الموجودات كـ(الحرية والكرامة) ، فالجثة الهامدة هي كناية عن موت الحرية والكرامة في المجتمعات العربية ، كما ان الطفل هو الآخر كناية عن وطن لا خبرة لديه في الشؤون الحياتية ، فاصبح فريسة للطامعين واللصوص.

واذا اردنا مقارنة ذلك مع نماذج من الاستعارة القديمة الواردة في الشعر القديم ، بوصفها شكلا من أشكال الأنسنة ، لوجدنا بونا واسعا ، فالشاعر القديم لم يكن يكني كما هو حال احمد مطر ، إنما كانت أنسنته للموجودات من باب الصاق صفة بشرية بالموجودات غير العاقلة ومن امثل ذلك :(**ضحك المشيب برأسه فبكى ، أتته الخلافة منقادة اليه تجر أذيالها ، دقات قلب المرء قائلة له ....، أتاك الربيع يختال ضاحكا ...)** (قاسم ؛ ديب ،٢٠٠٣،ص٢٠١) ولعلنا لا نجانب الصواب عندما نقول ان الاستعارة الواردة في الأمثلة آنفة الذكر، قريبة من الأنسنة التي نجدها في قصص الأطفال ، فالقاص المتخصص في قصص الأطفال ، عندما يمنح الموجودات (كالماء والهواء والشمس والقمر والحيوانات وغيرها) صفات البشر، فيجعلهم يتكلمون كلام البشر ويشعرون ويأكلون وينامون مثلما يفعل البشر ، وغيرها من الصفات ، لم يكن يرمز بهذه الموجودات إلى غيرها ، فهو يقصدها بعينها ، وهو عندما يوظفها في ادب الطفل يهدف إلى تنمية الخيال الخلاق لدى الطفل ، ولم يرمز بها إلى رموز بعينها ، بعبارة أخرى انه يقصد بالعصفور نفسه، والحمامة نفسها وهكذا دواليك ، أي ان حديثه من باب الحقيقة هنا ، نظرا لعدم استيعاب ذهن الطفل ان تكون تلك الموجودات رموزا أو كنى عن موجودات أخرى ، ومن ثم فاذا وردت الحمامة في نص للطفل ، فهو لا يرمز للسلام ، مثلما هو الأمر مع ادب الكبار ، في حين ان قصص الحيوانات أو الأنسنة بوجه عام الموجه للكبار ، تقصد من الأنسنة أمرا آخر غير تنمية الخيال ، فحديث ابن المقفع في(كليلة ودمنة)عن الحمامة والغراب والأسد والثعلب والذئب ، هو حديث عن مسميات أخرى ، أو شخصيات معينة ، وانه اتخذها مطية للتخفي من الرقابة السياسية عندما استعان بها .

وخلاصة الحديث في هذا الباب هي ان توظيف الأنسة أو التشخيص أو التجسيد او التجسيم والاستعارة ،يختلف باختلاف الفئة العمرية التي يوجه اليها الخطاب الأدبي، نظرا لاختلاف الغايات والأهداف، ففي ادب الأطفال تكون غايات الكتاب عند توظيفهم لهذه المفاهيم، هي تقريب المفاهيم المجردة من أذهان الأطفال، وجذب الطفل وإثارة انتباهه، لهذا اشترط النقاد ان يكون الكلام ذا هدف تربوي وتعليمي، كما اشترطوا الوضوح ومناسبة المرحلة العمرية والفكرية للطفل، وعلى سبيل المثال في قصص الأطفال التي تكون الحيوانات الأليفة أبطالها، تكون الغاية منها هي تبسيط المعاني الأخلاقية والتعليمية للطفل، لان الطفل يشعر بالسعادة اتجاه هذه الحيوانات فهي قريبة عليه في حياته اليومية ويرتبط معها بعلاقات ، والأمر الآخر الذي نستفيد منه في الاستعانة بالحيوانات أو الجمادات أو المعنويات هو تعزيز الخيال والإبداع لدى الطفل .

في حين ان قصص الكبار التي توظف الحيوانات أو الجمادات أو المعنويات وتمنحها صفات بشرية ، تكون غاية الكتاب منها مختلفة عن غاية كاتب قصص الأطفال، فابن المقفع في (كليلة ودمنة) كان يقصد التخفي من الرقيب السياسي، وكذلك جورج أورويل في روايته الموسومة بـ(مزرعة الحيوان) الذي كان يريد طرح مفاهيم فلسفية وفكرية عميقة

في روايته، ولا نريد هنا استعراض العشرات من القصص والروايات التي وظفت الحيوانات أو الجمادات والمعنويات وجعلتها أبطالا، وتكفينا هنا الإشارة إلى ان كتاب هذه القصص، الذين وظفوا الحيوانات في قصصهم، كانوا يريدون أمرا يختلف عما يريده كاتب قصة الطفل الذي يوظف الحيوان أو الجماد في قصصه، فكاتب قصة الطفل يهدف إلى تعليم الأطفال القيم والأخلاق والمواقف الإنسانية، فهو يتخذ من هذه القصص وسيلة تربوية وتعليمية، كما ان تلك القصص تنمي خيال الطفل وإبداعه، فضلا عن أهداف أخرى لسنا بصدد الوقوف عندها، في حين يهدف كاتب قصص الكبار إلى عرض الأفكار الفلسفية والأفكار المعقدة، نخلص من ذلك إلى نتيجة مفادها ان غاية السرد من توظيف التشخيص أو التجسيد أو التجسيم، أو بث الحياة أو إضفاء الصفات البشرية على الموجودات المختلفة ، تختلف باختلاف الفئة العمرية المستهدفة من السرد، فغايات قصص الأطفال من ذلك، تختلف عن غايات قصص الكبار من الموضوع ذاته ، واحمد مطر من جانبه كان يرمز أو يكني عندما وظف الأنسنة ، لأنه كان في وارد نقد مجتمعه المتخلف .

سادسا : الفرق في توظيف الأنسنة بين الشعر والسرد :

لعلنا لا نجانب الصواب عندما نقول ان تعامل الشعر مع الأنسنة والتشخيص والتجسيم والتجسيد، يختلف عن تعامل السرد معها، والاختلاف راجع إلى طبيعة الفنين، فالسرد يكمن الإبداع فيه في بنيته الحكائية وطرائق رسم الشخصيات، ولغة السرد قريبه من التقريرية، ولاسيما في الوصف، الذي يستغرق فيه السرد فيصور الأشياء من الخارج تصويرا منطقيا مع التركيز على تفصيلاتها، بغية إقناع المتلقي، الأمر الذي يجعل الفاظ السرد تشير إلى اتجاه واحد هو المباشرة ، وهذا يفضي إلى انكماش القدرة الإيحائية للبنية اللغوية عند حدود الدلالة المعجمية .

في حين ان الشعر يميل إلى الحذف البلاغي بسبب طبيعته الجمالية ، فهو يهمل التفصيلات ويميل صوب التكثيف والإشارة السريعة واللمحة الخاطفة الموحية المتعددة التأويلات، واذا احتاج إلى وصف موصوف معين يكفيه وصفه بكلمة أو اثنتين، لان الشعر فن لغوي في المقام الأول يكمن الإبداع فيه بالإيحاء والرمز ، كما انه معني بالوقوف عند انفعالات النفس وليس ببيان الأشياء، أي انه يتحدث عن كوامن الأشياء وانعكاساتها في الذات المنفعلة بها ، واذا كانت الألفاظ في القصة تشير إلى اتجاه واحد هو المباشرة ، فان الألفاظ في الشعر تتجاوز دلالتها المعجمية

وفي ضوء ذلك لا بد من التميز بين غايات الشعر وغايات السرد ، بشقيه سواء أكان سردا للأطفال ام للكبار في ذلك ، فالشاعر عندما يشخص أو يجسد أو يجسم أو يضفي الصفات البشرية على الموجودات ، أي عندما يظهر المعنويات والموجودات غير المدركة بإحدى الحواس الخمسة ، يظهرها في صورة محسوسة ومرئية ومسموعة ، إنما يقصد من ذلك إثراء نصه وجعله اكثر جمالا وتأثيرا في المتلقي واكثر قدرة على التعبير، فضلا عما ينطوي عليه ذلك من رسائل أيديولوجية يحاول إيصالها إلى المتلقي ، كما هو شأن احمد مطر .

في حين ان كاتب قصص الكبار عندما يفعل الأمر ذاته ، فانه يهدف إلى عرض الأفكار الفلسفية ، كما هو شأن جورج اورويل في روايته (مزرعة الحيوان)، أو انه أراد التخفي من الرقيب فاتخذ الأنسنة مطية للتخفي كما هو شأن ابن المقفع في (كليلة ودمنة) .

أما كاتب قصص الأطفال فان غايته من توظيف الأنسنة في قصصه هي تقريب المفاهيم المجردة من اذهنه الأطفال ، وجذب الطفل وإثارة انتباهه ، لهذا اشترط النقاد ان يكون الكلام ذا هدف تربوي وتعليمي ، كما اشترطوا الوضوح ومناسبة المرحلة العمرية والفكرية للطفل .

أي ان الشاعر غير معني بكشف الغموض واللبس (كما هو شأن قصص الأطفال)، بل في بعض الأحيان يتعمد الشاعر الغموض ، لكي يضفي جمالا على نصه، كما ان عرض الأفكار الفلسفية والفكرية يحتاج إلى لغة لا تميل إلى الإيحاء والرمز والتكثيف، وتعتمد اللمحة الخاطفة الموحية متعددة الدلالات والتأويلات، ومن ثم فان غايات الشعر تختلف عن

غايات السرد من ذلك، فاستعارة الصفات الإنسانية ومنحها للموجودات المختلفة في الشعر، كما هو قول الشاعر: (أتته الخلافة منقادة اليه تجر أذيالها) تختلف دلالته عما هو الأمر مع السرد .

واستنادا إلى ما تقدم فان الغايات التي سعى اليها احمد مطر في أنسنته هي غايات تحريضية، أراد تحريض الشعوب العربية من اجل نهوضها بواقعها المزري، فالعرب أشبه المخلوقات بالقط، الذي ترك الكلب الذي يلاحقه، واشغل بالافتخار على الفأر .

الخاتمة :

وفي خاتمة بحثنا نصل إلى النتائج التي توصلنا اليها ، نوجزها بالشكل الآتي :

١. شكلت الأنسنة علامة فارقة في شعر احمد مطر ، ومكنته من تسريب نقده السياسي والاجتماعي لواقعه العربي المزري عبرها ، فقد استغلها الشاعر بوصفها مطية حملها محملا أيديولوجيا تحريضيا ، فضلا عن كون الأنسنة تمثل ملمحا فنيا في شعر احمد مطر.

٢. على الدارس أو الباحث في شؤون الأنسنة في الأدب ، ان يعي ان هناك فروقا بين توظيف الأنسنة بين الشعر والسرد ، وفروقا بين الأنسنة في ادب الطفل ، والأنسنة في ادب الكبار، تحتمها طبيعة الأشياء ، كما عليه ان يعي ان الفروق الدقيقة في الدلالة بين التجسيم والتجسيد والتشخيص والأنسنة ، لا يلغي كونها جميعا تمثل بابا من أبواب المجاز ، حالها حال الاستعارة .

٣. مكنت الأنسنة الشاعر احمد مطر من الخلق ، فامتلك القدرة استنادا إلى معطيات الأنسنة ، من توزيع الصفات الإنسانية على الموجودات ،فضلا عن استعانته اكثر من مرة ببعض الموجودات دون غيرها ، وتبين من خلال الدراسة ان توزيع هذه الصفات ، والاستعانة ببعض الموجودات دون غيرها ، لم تقف خلفه أسباب فنية أو أيديولوجية حسب ، إنما كان هم الشاعر الأول هو تأدية الغرض الذي من أجله تم توظيف الأنسنة ، وان الأمر مثلما قال معاوية بن أبي سفيان : (اني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني) (الدينوري ، ١٤١٨هـ ،ص:٩)

المصادر

١.ابن بغداد ، احمد (٢٠١٧) ***أنسنة الطلل في الشعر الجاهلي*** ،المجلة التعليمية في كلية الآداب واللغات والفنون في جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس في الجزائر ، المجلد ٤، العدد ١١.

٢. الأسعد ، حكمت احمد شافي (٢٠٠٩) الأنسنة ***في شعر الجاهلية*** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة حلب ، سوريا

٣.أوشان ، علي آيت (٢٠٠٤) ***التخييل الشعري في الفلسفة الإسلامية (الفارابي – ابن سينا – ابن رشد)*** ، منشورات اتحاد كتاب المغرب.

٤. خياط ، ندى بنت حمزة بن عبده (٢٠٢٠) ***مصطلح الأسنة وتجلياته في الفكر المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية*** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد ٢٨ ، العدد ٦ ، ص :١٠٥.

٥.التميمي ، فاضل عبود (٢٠١٢) ***حضور النص قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب*** ،ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .

٦. جاسم ، حمدية عباس (٢٠٢٣) ***بلاغة أسلوب التشخيص ، شعر الحزن عند نازك الملائكة انموذجا،*** مجلة الجامعة العراقية ، العدد ٥٨ ج٢ ، ص :٢٦٩.

٧.الجزو، مصطفى علي (٢٠١١) ***التأنيس غير التشخيص،*** مجلة العربي الكويتية ، العدد ٦٣٠.

٨. الحمدان ، هيفاء راشد (٢٠١٢) ***أنسنة الشوارع في الشعر السعودي*** ،ط١، دار جرير للنشر والتوزيع .

٩.الحميري ، سؤدد يوسف عبد الرضا (٢٠٢٠) ***أنسنة الحرب في الشعر العربي قبل الإسلام*** ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد، المجلد ٣١، العدد ٣.

١٠. الخلايلة ، محمد خليل (٢٠٠٨) ***التشخيص قراءة في ديوان الخنساء*** ، مجلة العربية للعلوم الإنسانية جامعة الكويت ، المجلد ٢٦ ، العدد ١٠٤ ، ص :٩٥.

١١.الخولي ،ختام (٢٠٢١) ***الشخصية ودلالاتها في رواية " ناقة صاحلة" للروائي سعود السنعوسي*** ، حوليات آداب عين شمس ، المجلد ٤٩ ، ص :٤٦٢ .

١٢.درويش ، أسماء عبد الكريم (٢٠١٩) ***التشخيص في ادب الطفولة العراقي الحديث*** ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كركوك .

١٣.دندش ، شاهينة علي (٢٠٢٠) ***التجسيد في شعر أدونيس ؛ دراسة أسلوبية وبلاغية ، ديوان المسرح والمرايا أنموذجاً*** ، مطبعة القماطي ، القاهرة .

١٤.الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(١٤١٨هـ) ***عيون الأخبار*** ، دار الكتب العلمية –بيروت ، الجزء الأول ..

١٥.رجاء ، بودومة (٢٠٢١) ***رمزية "الشخصية الحيوانية في النتاج السردي الحديث" رواية "مزرعة الحيوان" لجورج اورويل أنموذجا*** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات في جامعة أبو بكر بلقايد في الجزائر.

١٦.السبيعي ، حصة سحمي محمد (١٤٣٤هـ) ***أسلوب التشخيص في شعر نازك الملائكة ،*** رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، كلية اللغة العربية.

١٧.السعيدي ، عبد الكريم (٢٠٠٨) ***شعرية السرد في شعر احمد مطر ، دراسة سيميائية جمالية في ديوان لافتات*** ،ط١ ، دار السياب ، لندن .

١٨.الشمري ، ثائر سمير حسن (٢٠١٨) ***التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري*** ، ط١ ، مؤسسة دار دار الصادق الثقافية ، بابل .

١٩.شهرى ، احمد رضا حيدران ؛ المسعودي ، كرار حسن(٢٠٢٣) ***مفهوم الأنسنة وتطورها عند الشاعر سيد حيدر الحلي*** ، المؤتمر العلمي الدولي الثاني للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، جامعة فردوسي في مشهد ، ص :٤٤٤.

٢٠.الصالحي ، أنور محمود ؛ السامرائي ، احمد هاشم (٢٠١٨) الأنسنة ***في شعر (شير كو بيكه س) دراسة في مجموعة***

(المرأة والمطر)، مجلة (قه لاي زانست) العلمية الصادرة من الجامعة اللبنانية الفرنسية في أربيل ، المجلد ٣، العدد٤ ،ص : ٥٧٩.

٢١.عبد الرحيم ، عبد الوهاب عبد الله(٢٠١٦) ***المحاور المشتركة بين الأدبين الرومانسي والعرفاني*** ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية في جامعة بابل ، العدد٢٥ ص: ١٤٢ .

٢٢.العتيبي ، زكية بنت محمد (٢٠١٦) ***انسنة المشاعر في ديوان (الأكسجين المر) للشاعر السعودي خالد الغامدي ، زحزحة المصطلح من التشخيص إلى الأنسنة ، دراسة بلاغية تحليلية***، مجلة مقاربات الصادرة من جامعة زيان عاشور . الجلفة ، المجلد ٤، العدد ٣ ،٢٠١٦ ، ص ٤٤١.

٢٣.علي ، سعيد فرغلي حامد (٢٠٢٣) ***أنسنة الخمر في شعر أبي نواس ، مقاربة تأويلية***، مجلة كلية الآداب في جامعة بور سعيد ، العدد ٢٥ ، الجزء الأول .

٢٤.علي ، سؤدد يوسف عبد الرضا (٢٠١٥) ***انسنتة الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دراسة موضوعية فنية***، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد .

٢٥.الغميز ، عبد الاله بن عبد العزيز (١٤٣٧ هـ) **أنسنة الفضاء في الاستعارات الشعرية عند محمد الثبيتي ، دراسة تداولية ادراكية** ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٦.فتحي ، إبراهيم (١٩٨٦) ***معجم المصطلحات الأدبية*** ، المؤسسة العربية ، صفاقس ، تونس.

٢٧.قاسم ، محمد احمد ؛ ديب ، محي الدين (٢٠٠٣) **علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)**، المؤسسة العربية الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان.

٢٨.كامل ، إيمان عصام خلف (٢٠١٣) ***أنسنة الشعر الجاهلي ، الرؤية والأداة*** ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم في جامعة المينا.

٢٩.المبيضين ، ماهر احمد ؛ الضمور ، عماد عبد الوهاب (٢٠١٥) ***أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي*** ، حوليات آداب جامعة عين شمس ، المجلد ٤٣ .

٣٠.محمد ، فاروق عبد السلام (٢٠٢١) ***التشخيص في شعر الجواهري***، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة تكريت .

٣١.مطر ، احمد (٢٠١١) ***المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر احمد مطر*** ،ط١ ، دار الحرية ، بيروت ، لبنان .

٣٢.معيدي ، تيسير جبار (٢٠٢٤) الأنسنة ***في قصص الأطفال في العراق ، شفيق مهدي انموذجا*** ،رسالة ماجتسير ، كلية التربية الأساسية في جامعة سومر.

٣٣.المناجرة ، عدنان عبدو (٢٠١٤) ***التشخيص والإسقاط في شعر الطبيعة عند أبي تمام*** ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة جرش.

٣٤.ناجي ، ثائر هادي (٢٠١٠) الأنسنة ***في نصوص مسرح الأطفال والكبار دراسة مقارنة*** ، مجلة دراسات تربوية ، بابل ، العدد ١٢ ،ص ١٣ .

٣٥.النعيمي ، احمد إسماعيل (٢٠١٣) ***أنسنة الطبيعة رؤية شعرية إبداعية*** ، بحث منشور في كتاب الموروث الشعري واقعيته وفنيته ، ط١، دار دجلة .

٣٦.وهبة ، مجدي ؛ المهندس ، كامل (١٩٨٤) ***معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*** ، ط٢ ، مكتبة لبنان .

٣٧..يحيي ، عبير خالد (٢٠٢٠) ***التشخيص والأنسنة تجربة رائدة في عالم الفانتازيا السردية دراسة نقدية بالآلية الذرائعية للمجموعة القصصية (حياة مؤجلة) للأديب المصري د. شريف عابدين*** ، ط١ ، دار المفكر العربي للنشر والتوزيع في القاهرة

٣٨.يعقوب ،عبد الكريم ؛ يونس ، ديما (٢٠١٥) ***أنسنة الليل في شعر ذي الرّمّة*** ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، العدد ٢١ ،ص ١٣٥.